مجلة إنسانيات معاصرة (Revue Inssaniyate Mouãssira)
المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة -
ISSN : 2830 - 8050
المجلد: 01 العدد: 02 سبتمبر 2022 م الموافق لـ: صفر 1444 هـ

المحسنات اللفظية في ديوان شفاء الأسقام في مدح سيد الأنام للشيخ إبراهيم الكولخي

الدكتور/ محمد هارون هطيجا
محاضر، قسم اللغة العربية – جامعة بايرو، كنو

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى استقراء الظواهر الفنية من خلال ديوان الشاعر السينغالي إبراهيم الكولخي، وتحليلها وفق الرؤية البلاغية العربية، وتلمس مواطن الإثارة الجمالية في توظيف المحسنات اللفظية في هذا المتن الشعري، وتبيين المقاصد التي أرادها الشاعر من تدبيج نصوصه الشعرية بأصناف المحسنات البلاغية، ولعله في ذلك يقدم تصوراته بما يتيح له التميز في ضروب النسج الفني في صناعته الشعرية، ومدى تحكمه في إجادة الصنعة اللفظية في تزيين وتنميق عمله الشعري، دون أن يحدث خللا ولا نشوزا في المعاني التي يستهدفها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

الكلمات المفتاحية:

إبراهيم الكولخي، المحسنات اللفظية، المدح، البلاغة، البديع.

Abstract:

This research aims to extrapolate the artistic phenomena through the Diwan of the Senegalese poet Ibrahim Al-Kolkhi, and analyze them according to the Arabic rhetorical vision, and touch the points of aesthetic excitement in employing verbal improvements in this poetic text, and clarifying the purposes that the poet wanted from the stylization of his poetic texts with the types of rhetorical improvements, and perhaps in that He presents his perceptions to allow him to excel in the types of artistic weaving in his poetic industry, and the extent of his

mastery of verbal craftsmanship in embellishing and embellishing his poetic work, without causing distortion or confusion in the meanings he aims to praise the Prophet, peace and blessings be upon him.

Keywords:
Ibrahim Al-Kolkhi, verbal improvements, praise, rhetoric, Budaiya**.**

توطئة:

تلعب المحسنات اللفظية وتراكيبها دورا فعالا في تأثير الكلام الفني عند المتلقي، حيث ينبهر بجمالها وسحرها، حسب رؤية البديعيين، إذ كلما حلى الكلام وعذب كلما التصق بالأسماع واتصل بالقلوب، الأمر الذي دفع علماء البلاغة إلى تخصيص بحث مستقل تحت علم البديع لرصد المعاير اللفظية التي تتحسن الأعمال الأدبية بتوظيفها. فهذه الورقة تسعى إلى تتبع الديوان المذكور للكشف عن تلك المحسنات وتوظيفها عند الشاعر بغية إبراز مدى إجادة الشاعر في تزيين عمله الشعري بها.

والدافع الأساسي إلى دراسة الموضوع؛ يأتي امتثالا أو تلبية لأوامر صدرت من جمعية أحباب الشيخ بإعدادها لتقدم في ندوة ثقافية التي تنعقد في موسم الاحتفال بمناسبة بمولده "في أسبوع الشيخ" لعام 2021م بمدينة صوكوتو".

ومع وجود عدد من الدراسات الأدبية والأكاديمية التي قد أجريت على دواوين الشاعر، إلا أن الباحث لم يجد دراسة مكثفة ومخصصة بهذه الظواهر حول ديوان شفاء الأسقام بصورة كهذه. لذا قام بإعدادها.

تستعين الدراسة بالمنهج الوصفي عن طريق تتبع الديوان للوقوف على نماذج من المحسنات اللفظية الواردة فيه، وبعد دقة إحصائية دقيقة . تدور الورقة حول النقاط التالية:

- التعريف بالشاعر والديوان.
- أضواء على المحسنات اللفظية وصورها.
- نماذج من صور المحسنات اللفظية الواردة في الديوان.
- الخاتمة.

التعريف بالشاعر وديوانه:

هو الشيخ إبراهيم بن الحاج عبد الله انياس، ولد بعد عصر يوم الخميس 15 من رجب الفرد 1320هـ الموافق 17 من أكتوبر 1900م بقرية (طيب انيسين) التي أسسها والده في إقليم (سين سالوم) بولاية كولخ داخل (السنغال)[1].

والمراجع تشير إلى أن الشيخ إبراهيم تربي في حجر والده ولم يأخذ عن غيره، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وأخذ من أطراف العلوم الإسلامية واللغوية وهو لا يزال في سن المراهقة، مما أهله للخوض في ميدان التأليف والإنتاج منذ الواحدة والعشرين من عمره.

[1]– يهوذا، أمين، **بنية القصيدة في ديوان " سير القلب " للشيخ إبراهيم إنياس الكولخي**، بحث علمي للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كانو، 2011م ص 18

وكان الشاعر داعية من دعاة الإسلام، فقد حمل الإسلام إلى كل أنحاء العالم، واعتنق الإسلام جمعٌ كبيرٌ على يديه، حتى قيل إنه قد أسلم على يديه ما ينيف على أربعة آلاف مسيحي دفعة واحدة وفي موقف واحد من غير قتال[1].

اتصل بكبار العلماء في العالم في تجواله الدعوي فانتظم فيهم، وتعاونوا في الإرشاد والدعوة، فكان عضوا في اللجنة التأسيسية لرابطة العالم الإسلامي في مكة، ونال شرف الإمامة بالجامع الأزهر الشريف في اليوم 21 يولية 1961م وهناك لقبوه بـ: (شيخ الإسلام)[2].

"أما مؤلفاته فروي عن بعض الثقات أنها على عدد سنينه والله أعلم وذلك سبع وسبعون.."[3].

إلا أن بعضها في الحقيقة ليست سوى رسائل وفتاوى صغيرة الحجم موجهة إلى بعض المريدين والمستفيدين في مسائل متفرقة، "ومهما يكن من شيء فإن الشيخ إبراهيم قد كتب كثيرا.."[4].

---

[1]- يهوذا، أمين، **بنية القصيدة في ديوان " سير القلب " للشيخ إبراهيم إنياس الكولخي**، بحث علمي للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كانو، 2011م ص 18.

[2]- ميغري، محمد الطاهر، **الشيخ إبراهيم إنياس السنغالي** - حياته وآراؤه و تعاليمه، دار العربية، 1981م ص: 160

[3]- بن السيد، محمد عبد الله، (الشيخ) **من أخبار الشيخ إبراهيم**، دار البيضاء، ط/1، 2004م ص: 165

[4]- ميغري، محمد الطاهر، المرجع السابق، ص: 316

ومن أهم هذه المؤلفات:

- كاشف الإلباس عن فيضة الختم أبي العباس.
- رفع الملام عمن رفع وقبض اقتداء بسيد الأنام.
- البيان والتبيين عن التجانية والتجانيين.
- تبصرة الأنام في أن العلم هو الإمام.
- الفيض الأحمدي في المولد المحمدي.
- الأفريقية للأفريقيين.

وجمعت له من بعده بعض رسائله وابتهالاته وفتاويه وتفسيره للقرآن الكريم، ومن أهمها:

- في رياض التفسير للقرآن العظيم، تفسير مولانا الشيخ إنياس الكولخي مدينة كولخ عام 1383هـ ستة أجزاء – محمد بن الشيخ عبد الله.
- جواهر الرسائل الحاوي لبعض علوم وسيلة الوسائل _ أحمد التجاني علي سيس.
- الكنز المصون واللؤلؤ المكنون. – الحسن علي سيس.

توفي الشاعر يوم الأحد 27 من شهر يولية لعام 1975م في إحدى مستشفيات لندن، ودفن وراء مسجده الجامع بمدينة كولخ حسب وصيته تاركا للأمة الإسلامية هدايته وتواليفه المشرقة التي لن يضل من تمسك بها أبد الدهر.

ديوان شفاء الأسقام في مدح خير الأنام:

أما ديوان شفاء الأسقام في مدح خير الأنام فهو الخامس من دواوينه الثمانية التي تضمها ذلك دفتا الكتاب المشتهر باسم تعليقات الشيخ عتيق على (نزهة الأسماع والأفكار بمدح الأمين ومعاني المختار)، وهو يضم ثلاثين قصيدة مرتبة ترتيب (أبجد) حسب مطالع القصائد وحروف رويها معا وعدد أبيات المجموعة 448 بيتا، مطلعة بـ:

أَبَالِي سِرٌّ حَلَّ بَيْنَ حشَائِي تَنَاسِي حَبِيبَ اللهِ عَيْنَ الصَّفَاءِ[1]

أما عن تاريخ إنتاج هذا الديوان (شفاء الأسقام) فلا يعرف بالضبط متى شرع فيه مولانا ولا متى فرغ منه، إلا أننا نعرف أن الديوان تم إنتاجه قبل عام 1948م بشهادة من أحد أصحاب الشيخ في موريتانيا، وهو الشيخ محمد عبد الله[2].

أما موضوع الديوان فهو المديح النبوي، وقد استنبط الشيخ محمد المريتاني في الديوان كله ثلاثة أبعاد إلى جانب الموضوع الرئيسي (المديح النبوي) وجميعها ترجع إلى هذا المعنى العمودي الأول الذي كان أساس هذا الإنتاج المكثف وهي:

[1]- إنياس، إبراهيم بن الحاج هبد (الشيخ) – **نزهة الأسماع والأفكار في مدح النبي ومعاني المختار**، دار الفكر بيانات النشر غير متوفرة، ص 138.

[2]- المرتاني، محمد بن الشيخ عبد الله (الشيخ) **آفاق الشعر عبد الشيخ إبراهيم**، ج /1 بيانات النشر غير متوفرة، ص 52

– محبة الشيخ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد تنفس الشاعر طويلا وفي مواقف مختلفة يشرح مدى حبه للممدوح عليه الصلاة والسلام، إلى جانب محبة غيره من المحبين في هذا الجانب العظيم.

– شهود المنة والتحدث بالنعمة، حيث إن الشاعر حدث بما أكرمه الله به من القرب والقبول ورؤية النبي في مواقف متعددة وما حظي به من الولاية والاصطفاء.

– الدعاء والتضرع، وذلك فيما غطَّى خواتم القصائد من تضرعات وتوسلات وصلوات ودعوات وتعويذات له ولأتباعه وللإسلام والعصر جميعا.

أضواء عن المحسنات اللفظية وصورها:

وهي المحسنات البديعية التي تهدف إلى تزيين الألفاظ وخلق الموسيقى الداخلية في النص الأدبي.

أولها الجناس: وهو: عند علماء البلاغة أن يتفق اللفظان في أربعة أشياء في نوع الحروف، وعددها، وهيئتها، وترتيبها، كقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴾[1] الروم 55.

[1]– سورة الرم: 55

ف"الساعة" في الآية قد اتفقتا في هذه الأشياء المذكورة مع اختلافهما في المعنى؛ إذ قد أريد بالساعة الأولى "القيامة" والثانية: "الساعة الزمنية"[1] ويسمى هذا النوع: الجناس التام، وإذا اختلف اللفظان في واحد من الأشياء الأربعة المذكورة فهو جناس غير تام.

وللجناس التام أنواع ثلاثة: مماثل، ومستوفي، ومركب.

فالمماثل: أن يتفق اللفظان في نوع الكلمة، بأن يكونا اسمين، أو فعلين، أو حرفين.

والمستوفي: أن يختلف اللفظان في نوع الكلمة، بأن يكون أحدهما اسما والآخر فعلا، أو أحدهما حرفا والآخر اسما أو فعلا.

والمركب: أن يكون كلا اللفظين أو أحدهما مركبا، وهو ثلاثة أضرب: المتشابه وهو ما يكون اللفظان مركبين، والمفروق:وهو ما يكون أحد اللفظين فيه مركبا والآخر مفردا، والمرفو: وهو ما كان اللفظ المركب فيه مركبا من كلمة وجزء كليمة كقولهم:" أهذا مصاب أم طعام صاب" فاللفظ الأول مفرد؛ إذ هو "اسم مفعول" من "أصاب" والثاني مركب من كلمة هي لفظ "صاب" بمعنى العلقم وجزء كلمة وهو "الميم" من طعام.

[1]– عوني، حامد، **المنهاج الواضح للبلاغة**، المكتبة الأزهرية للتراث، بلا سنة، ص: 179

أما الجناس غير التام: فهو ما اختلف في واحد من الأشياء الأربعة السابقة، وهو على أربعة أحوال؛ لأن الاختلاف إما في نوع الحروف، أو عددها، أو في هيئتها، أو في ترتيبها. واشترط فيه ألا يقع الاختلاف بين اللفظين بأكثر من حرفين[1]، وله أنواع يضيق المجال بسردها هنا.

ثانيها: رد العجز على الصدر: ويسمى أيضا التصدير، وهو في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها. وفي النظم أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول، أو آخره أو صدر المصراع الثاني، كقوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ الأحزاب 37.

ثالثها: التصريع: وهو عبارة عن مقابلة صدر البيت بلفظة وزنها ورويها فيعمد الشاعر – في مطلع قصيدته إلى إقامة القافية في عروض البيت وضربه[2]. والتصريع لون تمسك به معظم الشعراء منذ العصر الجاهلي وإن كان قد استنكره بعض النقاد، إلا أن منهم من عرف مكانته وأدرك جماله من خلال خصائصه الفنية مثل الناقد الشاعر القرطاجني، الذي عبر عنه بقوله: "إن للتصريع في أوائل القصائد طلاوة وموقفا من النفس لاستدلالها

[1]– عتيق، عبد العزيز، (الدكتور) **علم البديع**، دار الآفاق العربية – مصر، 2004م ص: 151 وما بعدها

[2]– سلطاني، محمد علي، (الأستاذ الدكتور) **المختار من علوم اللبلاغة والعروض** دار العصماء، سوريا – دمشق، ط/1، 2008م ص 174

به على قافية القصيدة قبل الانتهاء إليها..."[1] وقد استشهد لموقفه هذا بقول أبي تمام:

وتقفوا إلى الجدوى بجدوى وإنما يروقك بيت الشعر حين يصرع

رابعها: لزوم ما لا يلزم: وسماه قوم: الالتزام، عرفه الخطيب القزوين بقوله: "هو أن يجيء قبل حرف الروي أو ما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في السجع. كقول أبي تمام:

خدم العلا فتخدمه وهي التي لا تخدم الأقوام ما لم تخـــــدم

فإذا ارتقى في قــلة من سؤدد قلت له الأخرى: بلغت تقدم[2]

وغير ذلك من أنواع المحسنات اللفظية التي لا يسع المجال بالتعمق فيها خلال هذه الورقة، فمن أراد المزيد فعليه بالمصادر البلاغية.

المحسنات اللفظية في الديوان:

بعد تتبع دقيق لقصائد الديوان لاحظ الباحث أن الشيخ استوظف بعضا من أنواع المحسنات اللفظية في القصائد، الأمر الذي يوحي بتمكنه ودقة إلمامه بوظائفها في تحسين الموسيقى الشعرية وتزيينها، كما تكشف عن مدى علمه بتأثيرها في إيصال رسالة الأديب وجذب انتباه المتلقي ، ومدى مساعدتها في نسج الأفكار ودلالتها بكل إيضاح.

---

[1]– سلطاني، محمد علي، (الأستاذ الدكتور) **المختار من علوم اللبلاغة والعروض** دار العصماء، سوريا – دمشق، ط/1، 2008م ص 176

[2]– عتيق، عبد العزيز، (الدكتور) **علم البديع**، المرجع السابق، ص: 163 وما بعدها

والجدول التالي عبارة عن إحصاء ما ورد في الديوان من هذه الأنواع:

الظاهرة	عدد الورود	النسبة المئوية
الجناس	97	٪62.58
التصريع	29	٪18.70
التصدير	17	٪10.96
لزوم ما لا يلزم	12	٪7.74
المجموع	155	٪99.98

يشير الجدول إلى درجة شيوع ظواهر المحسنات اللفظية في الديوان حيث حظي الجناس بأعلى درجة ثم التصريع فالتصدير فالالتزام على النحو التالي:

أولا: الجناس في الديوان:

يعد الجناس أكثر المحسنات اللفظية شيوعا وانتشارا في الديوان والجدول الآتي يحصي ورود الجناس بنوعيه التام وغير التام:

النوع	عدد الورود	النسبة المئوية
الجناس التام	2	٪2.06
الجناس غير التام	95	٪97.93
المجموع	97	٪99.99

أ – يلمس ورود الجناس التام بدرجة تافهة جدا في الديوان، في حين يتبلور ورود الجناس غير التام بدرجة فائقة، وذلك أن الجناس التام لا يخلو –في بعض الأحيان – من ملامح الإيهام والتكلف إذا لم يسمح به الطبع ولعل ذلك جعل بعض الأدباء ينكرونه[1]، ولعل ذلك هو سر اضمحلاله في الديوان، إذ لم يعثر عليه الباحث إلا في موضعين فقط:

الأول: قول الشاعر في حرف الكاف:

عليه صلاة الله ثم سلامه بها العبد دين المصطفى الدهر قد مسك

عليه صلاة الله ثم سلامه تخالط لحمي والعروق كـــــــذا المسـك[2]

فالشاعر ذكر لفظ (مسك) مرتين والجناس هنا تام مماثل، حيث اتفقا في الأمور الأربعة مع اختلافهما في المعنى؛ إذ أريد بـ (المسك) في الأولى "الأخذ"[3]. وفي الثانية: "الجلد". وتأتي الفائدة في بيان توسل الشاعر إلى الله، بالصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يجعله متمسكا بسنته المطهرة، وأن تكون الصلاة مخالطا بجميعه جلدا ولحما وعروقا.

[1]– قال ابن حجة الحموي في "خزانة الأدب":" أما الجناس فإنه غير مذهبي ومذهب من نسجت على منواله من أهل الأدب."أنظر: أحمد بن مصطفى المراغي، علوم البلاغة،ص: 358 وعبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة

[2]– إنياس، إبراهيم بن الحاج هبد (الشيخ) – **نزهة الأسماع والأفكار**، المرجع السابق ص: 149

[3]– وفي معجم اللغة العربية المعاصر: يقال مسك العصا، إذا أخذ بها وتعلَّق، وقبض عليها بيده

والثاني: قوله في حرف الجيم:

أغثنا أغثنا يا مغـيث فإننـــــا ألفنا بك النعماء من كـل سائغ

فإن لم تدارك في البلاد وأهلها وحاشاك ذاقوا مطعما غير سائغ[1]

ذكر لفظ (سائغ) مرتين والجناس تام مماثل أيضا، إذ أريد بـ (السائغ) في الأولى "الحلال". وفي الثانية: "سهل المطعم"[2]. ويفيد الجناس موقف الشيخ في استغاثته بين الخوف والرجاء، حيث يذكر ما منَّ الله به عليه وعلى بلاده من كل رزق حلال، ويتضرع إلى الله معوذا زوال النعمة وفجأة النقمة.

ب – أما الجناس غير التام: فقد كثر انتشاره وبلورت أنواعه في الديوان، وذلك نتيجة وضوحه وميل السماع إلى رنين جرسه.

والجدول الإحصائي التالي يوضح ورود أنواع الجناس غير التام:

نوع الجناس	عدد الورود	النسبة المئوية
جناس الاشتقاق	55	٪57.89
الجناس اللاحق	22	٪23.15
المضارع	7	٪7.36
الناقص	5	٪5.26

[1]– إنياس إبراهيم بن الحاج هبد (الشيخ) – **نزهة الأسماع والأفكار**، المرجع السابق ص 165

[2]– وفي لسان العرب: ساغ الشراب في الحلق يسوغ سوغا وسواغا: سهل مدخله في الحلق.. وساغ له ما فعل أي جاز له ذلك، وأنا سوغته له أي جوزته.

المصحف	3	٪3.15
المحرف	2	٪2.10
جناس القلب	1	٪1.05
المجموع	95	٪99.95

*- جناس الاشتقاق: يلمس شيوع جناس الاشتقاق أكثر من غيره من أنواع الجناس غير التام، بسعبة وخمسين في المائة تقريبا، وهو في الحقيقة ليس من أنواع الجناس، و إنما هو ملحق به، يقول الإمام السيوطي:

وَبِالجِنَاسِ أَلْحَقُوا شَيْئَيْنِ... إِحْدَاهُمَا تَشَابُهُ اللَّفْظَيْنْ

قُلْتُ وَذَا تَجَانُسُ الإِطْلاقِ... وَالآخَرُ الْجَمْعُ فِي الِاشْتِقَاق[1]

ويسمى هذا النوع بالجناس المطلق. وهو قسمان:

القسم الأول: "المتلاقيان في الاشتقاق": وهو أن يجمع بين اللَّفظين الاشتقاق، مثل قول الله عزَّ وجلَّ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينَ القيم﴾ [الروم:الآية: 43].

فلفظ "أَقِم" ولفظ "القيّم" مشتقان من مادة لغوية واحدة[2]. ومنه قول الشاعر:

نقصت وإن شاء الأمين تقلبت نقائص أعمال كمالا فلا نقصا

[1]- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (جلال الدين) **عُقُودُ الجُمَانْ في عِلْمِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانْ**، دار الإمام مسلم، ط/1، 2012م ص 112

[2]- الميداني، عبد الرحمن بن حسن حبنكة، **البلاغة العربية**، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط:1، 1996م، ج/ 2 ص 499

فعبد مسيء طالما صار محسنا فما لي سوى الحسنى تعد ولا تحصى

يعبر الشاعر عن نقصه في جنب الله ويرجو من المحبوب أن يقلب النقص كمالا، والإساءة إحسانا، وبذلك تبدل السيئات بحرمة المحبوب عليه السلام حسنات وتضاعفت الحسنات حتى لاتحد فتعد ولا تحصى فتستقصى. فلفظ "محسن" ولفظ "الحسنى" مشتقان من مادة لغوية واحدة. تفيد تأكد الجزاء المرجو من جنس العمل. قال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ .

ومنه قوله في الديوان:

ووحد حقا ذاكرا مـــتنسكا لدى الحضرة العليا وما ثم من نسك

فاعطاه ما أعطاه دون منازع ينازعه عند الجليل ومـــا ملـــــك[1]

يصف الشاعر في هذين البيتين ما جرى بين الممدوح وربه عزّ وجلّ بمكان لم تصل إليه البشرية قط قبله صلى الله عليه وسلم، حيث خرّ راكعاً وأطلق التحيات والزاكيات له تعالى، وما أعطاه الحق تعالى من الصلوات بدون وجود أي مشارك ولا منازع ينازعه عند ربه، وما ملّكه الحق تعالى من مقام النبوة والرسالة.

فلظ "منازع" ولفظ "ينازع" مشتقان من مادة واحدة جانس بينهما ليؤكد عدم وجود من يتنافس معه صلى الله عليه وسلم هناك.

[1]– إنياس، إبراهيم بن الحاج هبد (الشيخ) – **نزهة الأسماع والأفكار**، المرجع السابق ص148

القسم الثاني: المتلاقيان فيما يشبه الاشتقاق: وهو أن يجمع بين اللَّفْظين ما يشبه الاشتقاق، مثل قول الله عزَّ وجلَّ حكايةً لما قال لوطٌ عليه السّلام لقومه: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِّنَ القالين﴾ فعل "قال" مشتقٌّ من "القول" وكلمة "القالين" جمع "القالي" وهو المبغض والهاجر، من "قَلاَهُ قِلىً" إذا أبغضه وهجره، ولكن جمع بينهما ما يشبه الاشتقاق، فقد اشتركا في القاف والألف واللاّم، وإن كانَا مِنْ مادّتين مختلفتين[1]. ومنه قول الشاعر:

أحب رسول الله حقا وإنـــــــني على حبه ما دمت ممن يحافظ
أهيم به ما عشت دهري وكيف لا وعين عناياتي لجنبي تلاحــظ[2]

يوضح الشاعر موقفه نحو الذات المحمدي حيث يعطش عشقا إليه مدى الدهر، لأنه عليه الصلاة والسلام موضوع اهتمامه واشتغاله. جانس الشاعر بين لفظ "عين" ولفظ "عناية"، فكلمة (عين) من مادة عين، لها معان منها الباصرة، والجارية، والذات، وهي المراد هنا، وأما (العناية) من مادة عني، فالاشتغال بالشيء و الاهتمام به. ولكن الشاعر جمع بينهما ما يشبه الاشتقاق، فقد اشتركا في العين والياء والنون. وإن كانا من مادتين مختلفتين. ليولد جرسا موسيقيا مؤثرا. كما جانس بين يعذب وتعذيب في قوله:

[1]– الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، **البلاغة العربية**، المرجع السابق، ص: 499
[2]– إنياس، إبراهيم بن الحاج هبد (الشيخ) – **نزهة الأسماع والأفكار**، المرجع السابق ص: 164

يداركني طه الأمين بعطفه فيعذب تعذيبي ووجدي ولوعتي[1]

ففعل "يَعْذُبُ" ومصدر "تعذيب"ليسا مشتقين من مادة لغوية واحدة إذ كلمة (عذب) معناها السائغ واللذيذ من الطعام والشراب، وكلمة (عذاب) معناها العقاب والنكال والألم. وشتان ما بينهما. ولكن الشاعر جمع بين ما يشبهه في الاشتقاق لأنهما اشتركا في العين والذال والباء. وإن كانا من مادتين مختلفتين. توليدا للجرس وتطريبا للسماع.

* – الجناس اللاحق: وهو ما اختلف في حرف، وما كان الحرفان المختلفان فيه متباعدين في المخرج كقوله تعالى "ويل لكل همزة لمزة" وقد ورد هذا النوع كثيرا في الديوان ما ينيف على ثلاثة وعشرين بعد المائة. ويكتفي الباحث بعرض نموذجين، أحدهما: قول الشيخ في أول الديوان:

أبى لي سر حل بين حشائي تناسي حبيب الله عين صفاء[2]

فالشيخ هنا جانس بين لفظتي (بين) و(عين) والجناس هنا غير تام، إذ اختلف اللفظان في الحرف الأول واتفقا في الحرفين الثاني والثالث، وفي ترتيبهما، وشكلهما، واللفظ الأول(بين) ظرف مكان، والثاني (عين) اسم مضاف إلى الصفاء بمعى حقيقته، ويلمس أن حرفين المختلفين، متباعدان في المخرج أحدهما (الباء) شفهي، والآخر، (العين) حلقي، والسر في الجناس شحذ أذن السامع بجرس موسيقي جذاب ينشيء عن ذوق كامن في نفس

[1]- إنياس، إبراهيم بن الحاج هبد (الشيخ) – **نزهة الأسماع والأفكار**، المرجع السابق ص 161
[2]- المرجع نفسه، ص 137

الشيخ حجزه عن الغفلة عن ذكر النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم. وقوله أيضا:

عظيمٌ عظيمُ الخُلق والجود والعطا شفيق شفيع من دجى الكفر مخرجا[1]

التجانس هنا بين اللفظين (شفيق) و(شفيع) وهو جناس غير تام أيضا، حيث اختلف اللفظان في الحرف الأخير، وهما صفتان من أخلاقه العظيمة صلى الله عليه وسلم، إلا أن الحرفين متباعدان في المخرج، فالأول (القاف) حنكي، والثاني (العين) حلقي. جانس الشاعر بيهنما تنميقا وتعنيقا في الرنِّ الموسيقى ليناسب شكل الممدوح عليه أجمل خلق الله وأحسنها عليه الصلاة والسلام.

* – الجناس المضارع: وهو ماكان فيه الحرفان اللذان وقع فيهما الاختلاف متقاربان في المخرج، مثاله قوله تعالى: (وهم ينهون عنه وينئون عنه)[2] ويحتل وروده في الديوان ما يزيد بقليل على سبعة في المائة. فمنه قول الشاعر:

عليم حليم صابر وهو شاكر وفي الله أعطى السِّوى لم يبارز[3]

التجانس هنا بين اللفظين (عليم) و(حليم) وهو جناس غير تام أيضا حيث اختلف اللفظان في الحرف الأول، وهما صفتان من أوصافه صلى الله عليه وسلم العظيمة، والحرفين اللذان وقع عليهما الاختلاف متقاربان في

[1]– إنياس، إبراهيم بن الحاج هبد (الشيخ) – **نزهة الأسماع والأفكار**، المرجع السابق ص 140

[2]– عتيق، عبد العزيز، (الدكتور) **علم البديع**، المرجع السابق، ص: 144

[3]– إنياس، إبراهيم بن الحاج هبد (الشيخ) – **نزهة الأسماع والأفكار**، المرجع السابق ص:144

المجرج فالأول (العين) حلقي، والثاني (الحاء) حلقي أيضا. جَانَس الشاعر بينهما تطريبا للرَّنِّ الموسيقى في مدح أكمل خلق الله وأحسنها عليه الصلاة والسلام.

ومنه قوله:

عليه صلاة الله ثم سلامه وأهرف دهري بالذي كنت أعرف[1]

فلفظ (أهرف) يشبه تماما لفظ (أعرف) في كل شيء بيد أنهما مختلفان في الحرف الثاني (الهاء والعين) وهما متقاربان لأنهما من مخرج واحد فكلاهما حلقيان، والهرف: المبالغة والإطناب في المدح والثناء، وفي المثل: "لا تهرف بما تعرف"[2] وذلك أيضا لتحسين الموسيقى.

* الجناس المصحف: وهو ما اتفق فيه ركنا الجناس – أي لفظا- في عدد الحروف وترتيبها واختلفا في النقط فقط[3]. كما في قول الشيخ:

عليه صلاة الله ثم سلامه يطهر حالي ثم نسلي كذا تُربي

عليه صلاة الله ثم سلامه ويشكر سعيي والمهيمن لي يربي[1]

جانس بين لفظتي (تربي) بمعنى التراب، و(يربي) بمعنى يزيد، فهو من نوع الجناس غير التام الذي اتفقت فيه الأركان سوى نوع الحروف.

---

[1]- إنياس، إبراهيم بن الحاج هبد (الشيخ) – **نزهة الأسماع والأفكار**، المرجع السابق ص 165

[2]- النيسابوري، أحمد بن محمد (أبو الفضل) مجمع الأمثال،دار المعرفة –بيروت لبنان،بلا سنة، ج/2، ص: 219

[3]- عبتيق، عبد العزيز، (الدكتور) **علم البديع**، المرجع السابق، ص: 148

[1]- إنياس، إبراهيم بن الحاج هبد (الشيخ) – **نزهة الأسماع والأفكار**، المرجع السابق ص 139

* الجناس الناقص: وهو ماختلف فيه اللفظان في عدد الحروف، لنقصان أحد اللفظين عن الآخر[1]، كما في قول الشيخ في الديوان:

عليه صلاة الله ثم سلامه صلاة بها نجحي وكل المصالح

عليه صلاة الله ثم سلامه ومن يقتفي من كل بر وصالح[2]

الجناس هنا بين لفظتي(صالح) ضد الفاسق، و(مصالح) جمع مصلحة فهو من نوع الجناس غير التام الذي اتفق فيه الأركان سوى عدد الحروف.

*الجناس المحرف: وهو ما اتفق فيه ركنا الجناس – أي لفظا- في عدد الحروف وترتيبها واختلفا في الحركات فقط[3]. ومنه قول الشيخ:

كتبت ولي اهتز العوالم والمَلَكْ سرورا بها أثني به العبد والمِلِكْ[4]

الجناس هنا بين لفظتي (المَلَكْ) بالفتح واحد الملائكة، و(المِلِك) بالكسر، الله سبحانه وتعالى، فهو من نوع الجناس غير التام الذي اتفقت فيه الأركان سوى عدد الحركة.

* جناس القلب: وهو ما اختلف فيه اللفظان في ترتيب الحروف ومنه، قول الشيخ:

تخذت رسول الله في كل أوقاتي معاشي وكسبي فهو لي خير أقواتي[1]

---

[1]– عتيق، عبد العزيز، (الدكتور) **علم البديع**، المرجع السابق، ص: 145

[2]– إنياس، إبراهيم بن الحاج هبد (الشيخ) – **نزهة الأسماع والأفكار**، المرجع السابق ص 146

[3]– عتيق، عبد العزيز، (الدكتور) **علم البديع**، المرجع السابق، ص: 146

[4]– إنياس، إبراهيم بن الحاج هبد (الشيخ) – **نزهة الأسماع والأفكار**، المرجع السابق ص 148

[1]– المرجع نفسه، ص: 161

والجناس بين لفظي (أوقات) جمع وقت، و(أقوات) جمع قوت، فهو من نوع الجناس غير التام الذي اتفقت فيه الأركان سوى ترتيت الحروف.

ومن جميع هذه الأنواع يتولد جمال موسيقي يطرب الأذن ويشحذ الذوق، ويظهر رونقا جذابا، وأثرا خلابا. فتوظيف كثرة هذه الأنواع يوحي بملكة الشاعرية والمعجمية ومعرفة دقيقة لفنون بديعية في البلاغة العربية وقدرة صوتية في حسن نسج أصوات الموسيقى الشعرية الجيدة عند الشاعر.

ثانيا: التصريع: وهو عبارة عن مقابلة صدر البيت بلفظة وزنها ورويها في مطلع القصيدة[1]. تصرع الشيخ في الديوان حيث لم يخلُ مطلع قصيدة من قصائده إلا وهي مصرّعة. والحق أن الشعراء الوجدانيين التزموا التصريع منذ أقدم العصور الأدبية، الأمر الذي يشير إلى صدق إدراكهم لعمق فاعليته وتأثيره في نفوس سامعيهم، فبه يعمد الشاعر إلى اقتحام مشاعر السامع حين يجمع عليه –في آن واحد– حسن الابتداء مع حسن الشحذ الموسيقي وتتجلى هذه الظاهرة في جميع مطالع القصائد، وهاك طرف يسير منها:

قول الشيخ: في مطلع القصيد الأولى (الهمزية):

(أ) أبا لي سر حل بين حشاء تناسي حبيب الله أين الصفاء[1]

(ب) قول الشيخ: في مطلع القصيد الثانية (البائية):

[1]– المختار من علوم البلاغة والعروض ، المرجع السابق، ص 174

[1]– إنياس، إبراهيم بن الحاج هبد (الشيخ) – **نزهة الأسماع والأفكار**، المرجع السابق ص:138

(ج) برئت من الإشراك والشك والعجب بحب رسول الله في البعد والقرب[1]

(د) قول الشيخ: في مطلع القصيد الثالثة (الجيمية):

(هـ) جزى الله عنا ظلمة الليل والدجى ففيها ينال الصب للحب مجرجا[2]

(و) قول الشيخ: في مطلع القصيد الرابعة (الدالية):

(ز) دجى الكفر جلاه الإمام محمد أبو القاسم الماحي الضلالات أحمد[3]

(ح) قول الشيخ: في مطلع القصيد الخامسة (الهائية):

هو المصطفى من لم بثق بعراه هوى في جحيم إذ غوى بهواه[4]

وهكذا إلى آخر البيت أبجديا.

ثالثا: رد العجز على الصدر في الديوان:

وهو في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين، أو الملحقين بهما، في أول الفقرة، والآخر في آخرها؛ كقوله تعالى:﴿ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ ﴾ الأحزاب: 37.

وفي الشعر أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول، أو حشوه أو آخره، أو صدر المصراع الثاني[1]، على النحو التالي:

---

[1]- إنياس، إبراهيم بن الحاج هبد (الشيخ) – **نزهة الأسماع والأفكار**، المرجع السابق ص 139

[2]- المرجع نفسه، ص140

[3]- المرجع نفسه، ص 141

[4]- المرجع نفسه، ص 142

[1]- قاسم، د. محمد أحمد، **علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»**، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان ط1، 2003م ص:121

أ- ما جاء في آخر البيت وصدر المصراع الأول منه: ومنه قول الشيخ:

غرست بأمداح النبي سعـــادتي فيا طيب أمداحي وطيب غراس
لباسي وحصني مدح أحمد سيد فأمنع حصن وهو خير لبـــاس[1]

وقع التجانس هنا بين لفظتي (غرست) و(غراس) عندما أراد الشاعر أن يحدث عن حسن قيامه بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم حيث صار هذا المدح سببا للسعادة في حقه، فتخيل لذلك صورة الغارس الذي يغرس الزرع فينمو ويستغلظ ويستوي فيعجب الزارع والشاهد. فرد عجز البيت إلى صدر مصراع أوله لينسج صورة خيالية لمدحه إلى أن نشأ ونمى وترعرع وأعجب منشد والقارئ والسامع. كما وقع التجانس لفظتي (لباسي) و(لباس) ومعناهما واحد رد الشاعر عجز البيت على صدر مصراعه الأول توكيدا وتطريبا.

ب – ما جاء في آخر البيت وحشو الصدر الأول منه، ومنه قول الشيخ:

رفعت لواء الذكر والمدح غـارقا ببحر حبيبي حيث ألهمني الذكرى[1]
وما لي دفع واجتلاب ولم يكن لدي سوى مدحي ودفع المدافع[2]

[1]- إنياس، إبراهيم بن الحاج هبد (الشيخ) – **نزهة الأسماع والأفكار**، المرجع السابق ص160
[1]- المرجع نفسه، ص: 159
[2]- المرجع نفسه، ص: 155

على خير ناس خير من وطئ الثرى فخير رسول الله خير أناس[1]

وقع التجانس بين (الذكر) و(الذكرى) وبين (دفع) و(المدافع) وكذلك بين (ناس) و (أناس) فرد العجز على حشو صدر البيت تطريبا وتوكيدا.

ج- ما جاء في آخر البيت مع آخر مصراع الصدر الأول منه، ومنه قول الشيخ:

كتبت ولي اهتز العوالم والملـك سرورا بما أثني به العبد والمـــــلك[2]

خريفي وصيفي والربيع جميعها كذاك شتائي ذكر جمع الجوامـــع[3]

ووحد حقا ذاكرا متنســـــكا لدى الحضرة العليا وما ثم من نسك[1]

وقد رُدَّ فيها أواخر أعجاز الأبيات على أواخر مصارع صدورها، تزيينا للكلام وجذبا لانتباه السامع.

د – ما جاء في آخر البيت مع صدر المصراع الثاني منه، ومنه قول الشيخ:

نقصت وإن شاء الأمين تقلبت نقائص أعمالي كمالا فلا نقصا[2]

فيا رب عجل بالنبي محـــــمد زوال عذاب آن منك زوالـــه[3]

---

[1]- إنياس، إبراهيم بن الحاج هبد (الشيخ) – **نزهة الأسماع والأفكار**، المرجع السابق ص160

[2]- المرجع نفسه، ص: 148

[3]- المرجع نفسه، ص: 155

[1]- المرجع نفسه، ص 148

[2]- المرجع نفسه، ص 154

[3]- المرجع نفسه، ص 150

رُدَّ فيهما الأعجاز على صدر المصراع الثاني تطريبا وتحسينا.

رابعا: لزوم مالا يلزم: هو أن يجيء قبل حرف الرَّويِّ، أو ما في معناه من الفاصلة، بما ليس بلازم في التقفية، ويُلتزم في بيتين أو أكثر من (النظم) أو في فاصلتين أو أكثر من (النثر) نحو قوله تعالى (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر)[1] ولزوم ما لا يلزم ضرب من السجع كما رأيت وإن وقع في الشعر، ولا يخفى ما فيه من تكلّف سوى ما جاء في القرآن الكريم. وقد لجأ إليه الشعراء تدليلا على قوّة شاعريّتهم، وتمكّنهم من اللّغة والعروض[1].

ومن نماذج ذلك من الديوان قول الشاعر:

عليه صلاة الله ثم سلامـه صلاة بها نحي وكل المصالح

عليه صلاة الله ثم سلامه ومن يقتفي من كل بر وصالح[2]

وهنا التزم الشيخ في البيتين حروف (الصاد واللام) قبل حرف الروي وليس ذلك لازم.

ومنه أيضا، قول الشاعر:

عليه صلاة الله ثم سلامه صلاة بها يـــــعلوا لوائي ورايـاتي

عليه صلاة الله ثم سلامه صلاتي وتسليمي على حب آياتي[3]

[1]- الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى، جواهر البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت، ص 333

[1]- قاسم، د. محمد أحمد، علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، المرجع السابق، ص 125

[2]- إنياس، إبراهيم بن الحاج هبد (الشيخ) – **نزهة الأسماع والأفكار**، المرجع السابق ص 146

[3]- المرجع نفسه، ص 162

التزم الشاعر الياء والألف قبل الروي، مما يدل على قوة شاعريته وعارضته، وتمكنه الموسيقي.

الخاتمة ونتائج البحث:

ناقشت الورقة أن الشيخ إبراهيم من مواليد رجب الفرد عام 1320هـ الموافق لـ: أكتوبر 1900م بقرية في بلاد سنغال، وتلقى العلوم على يد والده وجمع ثقافات علية، فخلّف تراثاً فكريا ضخما وراءه. منها: ديوان شفاء الأسقام في مدح خير الأنام الذين يتضمن الديوان ثلاثين قصيدة مرتبة على ترتيب الأبجدي حسب حروف المطالع، وأن عدد أبياته 448 بيتًا. كما أن الورقة عن المحسنات اللفظية وأنواعها المختلفة عند البلاغيين. ثم حاولت في استخلاص توظيف الظاهرة بأنواعها المختلفة في هذا الديوان، وأسفرت أخيرا النتائج الآتية:

1- أنه استوظف المحسنات اللفظية في قصائد الديوان.

2- أنه وظّف الجناس بنوعيه، والتصدير، والتصريع، ولزوم ما لا يلزم.

3- إن الجناس غير التام أكثر وروداً من جميع الأنواع؛ إذ يبلغ عدد وروده 95 مرة.

4- أن جناس الاشتقاق أكثر من بين غير التام؛ إذ يبلغ عدد وروده 55 وأنواع أخرى من غير التام توزّع فيها باقي الأربعين.

5- أن الشاعر لم يستوظف الجناس التام إلا في موضعين فقط في قصيدة واحدة.

6- إن التصريع يلي الجناس من حيث عدد الورود؛ إذ كل القصائد مصرّعة، ثم التصدير ثم لزوم ما لا يلزم.

7- أدركت الورقة أن هذا التوظيف يوحي بالقوة المعجمية والفنية عند الشاعر.